كلية التربية
المجلة التربوية
***

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن القابسي ودوره في صياغة نماذج تربوية نهضوية

إعداد

د . محمد حسن جرادات
أستاذ مشارك
كلية العلوم التربوية/ جامعة جرش

د . محمد عيسى الطيطي
أستاذ مساعد
كلية العلوم التربوية/ جامعة جرش

المجلة التربوية - العدد السادس والعشرون - يوليو ٢٠٠٩م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالإمام القابسي ورسالته المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين، ودوره في صياغة نماذج تربوية نهضوية، حيث جاءت هذه الرسالة في كثير من أفكارها متوائمة مع النظريات السيكولوجية الحديثة، مما يبعث على تأكيد الحاجة إلى قراءة نقدية لها تتيح فهم ما تضمنته من آراء تربوية ظهرت جلية في الفكر الحديث، رغم تطاول الزمن عليها، ودورها في صياغة نماذج تربوية نهضوية في عصر مؤلفها، وقد مست هذه الرسالة جميع ما يسمى بجوانب العملية البيداغوجية المتمثلة في المرَبِّي والمُربَّى، ومحتوى التعليم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي، وجاءت هذه الرسالة التحليلية لآراء القابسي للإجابة عن السؤالين الآتيين:

- ما الآراء التربوية للقابسي في جوانب العملية البيداغوجية (المُربي، المُربّى، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟
- ما مدى التوافق بين آراء القابسي في جوانب العملية البيداغوجية المُربي، المُربّى، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي ونظريات التعلم والتعليم الحديثة؟

واتبع الباحثان في هذه الدراسة المنهج التاريخي، الذي يقوم على الإحاطة بالمصادر التي تعالج فترة الدراسة وتحليلها واستخلاص الآراء التربوية المطروحة فيها، وإجراء مقارنة بين هذه الآراء وما جاء في النظريات السيكولوجية الحديثة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ABSTRACT

The study aims at introducing Imam Al-Qabsi's well-known Treatise on "Ahwal Al-Mualimeen & Ahkam Al-Muta`alimeen (The Statuse & Terms of Teachers ant Learners)" as well as his role in forging novel educational models. The Treatise is in line with modern theories of psychology, the thing that necessitates conducting a critical reading to appreciate the educational views it contains. Though it dates a few centuries back, the treatise still contribute to developing advanced educational models. It touches upon the so called "parties" of the pedagogical process manifested educators, learners, learning content and context/setting. This analytical study tries to answer the following tow questions:

- What are Al-Qabsi's educational views about the parties involved in the pedagogical process?
- How much are Al-Qabsi's views with aligned with the parties to pedagogical process and the modern theories of teaching and learning?

The two researchers follow the historic approach that is based in knowledge of the references/ sources that address and analyze the era of the study, and compare and contrast the views involved with their counterparts in modern theories of psychology.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة:

تسعى النظم التربوية المعاصرة إلى تطوير التعليم والنظر إليه كمهنة لها أصولها وقواعدها الممارسة وأخلاقياتها، إلا أن عملية تحويل التعليم إلى مهنة ليست وليدة هذا العصر، ولا هي منبتقة عن الماضي، فقد كانت لها جذور راسخة وممتدة في أعماق التاريخ، ثم تطورت أصولها عبر العصور المزدهرة تارة بفعل عوامل القوة، ومنتكسة تارة بفعل عوامل الضعف والاضمحلال، حتى جاء العصر الحديث ليعمل على خلق حركة تحول تربوي شامل ومتقدم، لا يقتصر على مرحلة تعليمية أو نوع معين من التعليم (الرشدان، ١٩٩٤: ٩٦).

ويعتبر المعلم محور العملية التربوية وعصبها الرئيس الذي يتوقف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها، ولكن بالرغم من إدراك الأقطار العربية لأهمية المعلم والمكانة التي يشغلها في العملية التربوية، ومحاولاتها المتعددة لإصلاح شأنه، فإنه لا يزال في وضع لا يحسد عليه، ولا تزال مهنة التعليم لا تجتذب النوعيات الممتازة القادرة على تحمل مسؤوليات إعداد جيل جديد، وتعاني عملية تكوين المعلم من غياب النظام المتكامل في الفلسفة والأهداف والتخطيط، إضافة إلى أن برامج الإعداد والتدريب لهذا المعلم لا زالت تقليدية لم تستطع بلورة السمات والمهارات التي تتطلبها المهنة في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي (بشارة، ١٩٨٦: ٥-٦).

وعملية إعداد المعلم وتدريبه لم تتبلور وتتضح في العصر الحالي بل، تبلورت ونضجت وظهرت نماذج تربوية نهضوية في العصور القديمة، في المجتمع المصري، وطبقة البراهمة في الهند والحضارة الصينية، وفي العصور الوسطى في المشرق العربي وفي بلاد المغرب العربي أيضاً (Bowen, ١٩٧٢: ٣٢-٣٣).

ومن هذه النماذج التربوية النهضوية التي تحدثت عن المعلم والمتعلم والبيئة التعليمية أبو الحسن القابسي (٣٢٤هـ-٤٠٣هـ) (٩٣٥م-١٠١٢م)، حيث كان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للأهواني فضل السبق إلى التصدي للتعريف بالقابسي وبآرائه ومواقفه التربوية (لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٥). والإمام القابسي هو أبو الحسن محمد بن خلف المعافري شهر "بالقابسي" وهو من أئمة رجال الحديث ومن مشاهير رجاله (عبد الوهاب، ١٩٧٢: ٤٧). والمرجع في تحليل آراء القابسي ونقدها وتصنيفها وردّها إلى أصولها وربطها بأحكام الفقهاء ومقالات المتعلمين، ومخطوطته المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس المترتبة بفهرسها تحت عنوان "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" وذكرها الأهواني في ذيل كتابه التربية في الإسلام.

نسخت هذه المخطوطة سنة (٦٠٧هـ) أي بعد وفاة المؤلف بثلاثة قرون ونيّف (الأهواني، ١٩٧٥: ٤٩).

وتقع هذه الرسالة في حوالي ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه أجزاء ثلاثة، أهمها الجزءان الثاني والثالث (أطلس، ١٩٧٥، ١٨٨). وصدّر القابسي رسالته بتفسير مفاهيم الإيمان والإسلام والإحسان والاستقامة والصلاح، ثم أجاب عن سؤال يخص ما جاء به في فضائل القرآن وفضل من تعلمه وعلّمه وآداب حمله وقراءته (عبد الدائم، ١٩٧٣: ٢٥٤).

واهتم في جزئها الثاني بأحكام التعليم والتأديب، وأجر المعلم وسياسته في رعاية المتعملين، وبحث في الجزء الثالث ترتيب أوقات التعليم وأمكنته وأحكام تغيب المعلمين والمتعلمين، وأجر الختمة، ثم ختم بشرح الحديث القائل: نزل القرآن على سبعة أحرف (الأهواني، ١٩٧٥: ٥٠).

ولعل أول ما يمكن استخلاصه من تحليل هذه الرسالة المذيلة كتاب الأهواني في التربية في الإسلام، أنها جاءت في كثير من أفكارها متوائمة مع النظريات السيكولوجية والبيداغوجية الحديثة، مما يبعث على تأكيد الحاجة إلى قراءة نقدية لها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تتيح فهم ما تضمنته من آراء تربوية ظهرت جليّة في الفكر الحديث، رغم تطاول الزمن عليها، ودورها في صياغة نماذج تربوية نهضوية في عصر مؤلفها، وقد مست هذه الرسالة جميع ما يسمى عند أهل الاختصاص في الأبحاث التربوية بجوانب العملية البيداغوجية المتمثلة في المربي، والمُربّى، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي، أي ما يُعرف في أيامنا هذه بالمعلم والمتعلم والمنهاج البيئة التعليمية.

مشكلة الدراسة:

ينتشر بين كثير من التربويين أننا مدينون للثقافة الغربية فى إيجاد نظريات تربوية أسهمت فى تطور الفكر التربوى ، ويردد هؤلاء الصيحة الشهيرة أننا عالة على الفكر التربوى الغربى دون أن يكلف هؤلاء أنفسهم عناء البحث فى التراث العربى للتأصيل لهذه النظريات والمفاهيم .

وقد تعددت الدراسات التربوية فى الآونة الأخيرة التى تحاول أن تاصل لكثير من المفاهيم التربوية من خلال البحث عن أصولها فى التراث العربي.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز ملامح التطور الذي صاحب عملية التعلم والتعليم عند المسلمين بعامة، والمغرب العربي بخاصة، ومقارنة ذلك بالمفاهيم التربوية المعاصرة، والكشف عن آراء أبي الحسن القابسي ومواقفه التربوية، وفي ضوء ما كتب عن محيطه الديني والثقافي، ورؤاه التربوية التي اتسعت ومست ما يسمى الآن في الأبحاث التربوية الحديثة بجوانب العملية البيداغوجية المتمثلة في (المُربي، والمُرَبّى، ومحتوى التعليم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي) مما يبعث على قراءة نقدية لهذه الآراء يتيح فهم ما ضمه من نماذج تربوية نهضوية لم يُخلِقْ تطاول الزمن عجيب جدّتها، وقوّة نفاذها إلى العمل التربوي، وطرائقه، وغاياته، ومختلف مقوماتها، ومدى ارتباط ذلك بالنظريات السيكولوجية الحديثة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسئلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة التحليلية لآراء القابسي التربوية للإجابة عن السؤالين الآتيين:

السؤال الأول:

- ما الآراء التربوية للقابسي في جوانب العملية التربوية (المربي، والمُربّى، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟

السؤال الثاني:

- ما مدى التوافق بين آراء القابسي في جوانب العملية التربوية (المُربي، والمُربَّى، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي) ونظريات التربية الحديثة؟

السؤال الثالث

– ما التصور المقترح للإفادة من الفكر التربوى للقابسى؟

محددات الدراسة:

- اقتصرت هذه الدراسة على الآراء والمواقف التربوية لأبي حسن القابسي في جوانب العملية التربوية (المربي، والمُربّى، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي).
- اقتصرت هذه الدراسة على مقارنة الآراء التربوية عند القابسي بالمفاهيم التربوية الحديثة.
- اعتمد في هذه الدراسة على مصادر متنوعة، قديمة وحديثة تدور حول جوانب العملية التعليمية (المعلم، المتعلم، المحتوى والبيئة التعليمية).

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال الآتي:

- تناول جوانب العملية البيداغوجية (المعلم، المتعلم، المحتوى، البيئة التعليمية) من وجهة نظر القابسي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- مقارنة هذه الآراء حول جوانب العملية البيداغوجية بالنظريات السيكولوجية الحديثة.
- لفت الأنظار إلى النماذج النهضوية التربوية في العصور الإسلامية المتقدمة وارتباطها بالفكر التربوي الحديث.
- إبراز للمصادر التي تمد تعليمنا المعاصر بصيغ وتقاليد تمارس على أنها مستحدثات تعليمية علماً أن لها أصولاً في الفكر التربوي الإسلامي.
- إبراز الظروف الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في تكوين آراء القابسي التربوية أي ما يعرف بالمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي.

تعريف المصطلحات:

- **المُربي (المعلم):** هو المعلم المسؤول عن تربية النشء في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٤٥).
- **المُربَّى(المتعلم):** وهو الطفل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها وما يدفعه عنها، ومسؤولية تربيته ملقاة على كافله وراعيه والمُربّي (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٥).
- **محتوى التعليم:** وهو القرآن الكريم دستور المسلمين ومرجعهم في العبادات والمعاملات وهاديهم إلى سبيل الفوز برضوان الله.
- والمنهج العام الذي يشتمل على:

أ. مواد إجبارية (القرآن، والفقه، والخط، والهجاء، والقراءة ومبادئ العربية).

ب. علوم اختيارية (كالحساب والشعر وأخبار العرب، وعلم النحو) (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٨٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي(المناخ التربوى):** هو العوامل السياسية والدينية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه أبو الحسن القابسي (عبد الوهاب، ١٩٦٥: ١٩٧).
- **البيداغوجيا:** هي المبادئ الأساسية التي ترتكز عليها عملية تنفيذ التدريس مثل المناحي العملية لإدارة الصف ومهارات التدريس وزمن التعليم ووقت الانتظار، والنظام الاجتماعي الصفي والمدرسي ومبادئ التفاعل الصفي.
- مجموعة الأعمال التي يستخدمها المدرس ووظائفه كنقل المعارف والتربية لجماعة في سياق مدرسي، وهي مصطلح مرادف لفن التدريس.
- **النظريات السيكولوجية:** هي المحاولات التي قام بها علماء النفس، والتي أسفرت عنها نظريات متنوعة تناولت ظواهر التعلم في إطار ذي معنى، يفسر أو يسهل تفسير الجوانب المتنوعة للسلوك (النشواتي، ١٩٨٤: ٣١٧).

منهج الدراسة وإجراءاتها :

- استخدم في هذه الدراسة المنهج التاريخي، الذي يقوم على الإحاطة بالمصادر التي تعالج فترة الدراسة وقضاياها المطروحة للبحث.
- تحليل هذه القضايا ونقدها واستخلاص الآراء التربوية التي طرحها القابسي في جوانب العملية البيداغوجية والمصادر التي تناولت شرح رسالته بالتفصيل.
- إجراء مقارنة بين هذه الآراء وما جاء في النظريات السيكولوجية الحديثة.
- اعتماد مراجع قديمة وحديثة وردت ضمن ثنايا الدراسة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتائج الدراسة وتفسيرها:

للإجابة عن السؤال الأول:

- **ما الآراء التربوية للقابسي في جوانب العملية البيداغوجية (المُربي، المُربّى، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟**

أ. **المُربّي:** يؤكد القابسي على أهمية الدور الذي ينبغي أن يضطلع به المربي في تخريج أبناء المسلمين والذي يتمثل في الخصائص والسمات الآتية:

- المعلم مسؤول عن ترغيب المتعلمين في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ليكونوا حسب تعبير القابسي نفسه من أهل الحق " الذين لا يزالون يستشيرون القرآن ويهتدون بما بينه الرسول عليه السلام مقتدين في ذلك بما عرفه أئمة الدين من سالف الأمة المرضين" (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٤-٢٥٥).
- على المعلم أن يرعى الصبيان حسب ما يرعى صبيانه، وله الحق في أخذ الإجارة ما دام متفرغاً لذلك، مجتهداً فيه، صابراً عليه، والأجر لا يتمثل في محتوى التعليم بل في الجهد الذي يُنْفق فيه بغية التوجيه الحسن والتأديب الصحيح، والإجارة هنا إجارة البدن المشتغل بالقرآن، وليس ثمناً للقرآن، ويبرر القابسي ذلك، بأن بيع المصاحف، إنما هو بيع للرقوق والخط والصنعة، وليس بيعاً لما فيه، لأن الذي فيها غير مطلوب إلى أحد ولا مخصوص به بائع المصحف دون مشتريه (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٦٠).
- يحل للمعلم من وجهة نظر القابسي الإجارة أيضاً بحكم ما يكابده في تعليم الفقه والفرائض والسفر، وبحكم ما يبذله من أجل الاستجابة لشروط التعليم والنهوض به وبأعبائه، وهي من أسباب الرزق التي لا غنى عنها كإنسان يحتاج مثل غيره إلى ما يسد به حاجات العيش، وبالتالي فالتعليم في نظر القابسي مهنة لا بد منها لتنشيط الحياة الاجتماعية وتوفير أسباب الرقي الحضاري (العليوي، ١٩٧٥: ١٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- كما وضح القابسي بشرح أحكام مهنة التعليم، وبيّن علاقة المعلم بولي أمر الصبي المتعلم، هي علاقة تعاقد ملزم يشتمل محتوى التعليم ومدته ومقدار الأجر وأجل دفعها. فهناك من ينتدب المعلم ليعلّم ولده القرآن وزيادة عليه الخط وقواعد الكتابة أو الهجاء أو النحو أو الفقه أو الشعر، ومنهم من يشترط تعليم ولده لوحده أو مع غيره من الأولاد (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٦٨).
- وقوام التفاهم بين الولي والمعلم هو وعيهما المشترك بمسؤوليتهما في تربية الأجيال الطالعة، تربية توقظ فيها الضمير الديني الذي به الإسلام، والتصديق، وخشية الله والعمل بما أمر الله، ودعا إليه، والانتهاء عما نهى عنه، وبدونه لا يمكن التكيف في المحيط الثقافي الاجتماعي لأنه خير هذا المحيط، وتوازنه ولحمة المتعايشين داخله، العاملين على صونه من البدع والضلالات، والأهواء الغازية تقتضي الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٣٣).
- فالذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ويؤدبه، فيحسن تأديبه، فقد عمل في ولده عملاً حسناً، يرجى له من تضعيف الأجر فيه، ولو ظهر على أحد أنه ترك تعليم ولده القرآن تهاوناً بذلك، لجُهِّلَ وقُبِّح ونقّص حاله (القابسي، الرسالة: ٢٤٩).
- ينادي القابسي بإجبارية التعليم والحث عليه بأسلوب الترغيب تارة وأسلوب الترهيب تارة أخرى، فهو يذكر المقبل على التعليم بالأجر عند الله ويحذر الراغب عن ذلك بسوء المآل في الحياة والمعاد.
- أكد القابسي على أن تشمل نعمة التعليم جميع الأطفال دونما استثناء حيث دعا إلى أن يتم تعليم اليتيم مما يكون قد ورثه من مال أو من قبل وصيه، وإن لم يكن له وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وإن لم يكن هناك حاكم للمسلمين نظر في أمره صالحو ذلك البلد أو يتم العناية به من أحد المسلمين، أو يقوم بذلك المعلم ويحتسب أجره على الله (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٢).
- والهدف من تعليم القرآن خاصة من وجهة نظر القابسي تخريج الأجيال الجديدة على معرفة الدين والاهتداء بتعاليمه كما هي مبينة في كتاب الله،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً، ثم في سنة نبيه، ويقع هذا الأمر على الأب أولاً، فإن لم يستطع أن يستأجر من ينوبه فيه حتى يثبت القرآن في قلوب المؤمنين (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٤).

- وعلى المعلم التفرغ لمهنة التعليم، وعليه أن لا يشتغل عنهم بأمور قد تطرأ عليه كشهود جنازة أو عيادة مريض، وشهادة البينات أو إبرام عقود النكاح وغيرها، وعليه أن يتفق مع الآباء على أوقات التعليم والعطل وأن يستأذن في إرسال الصبية في طلب بعض، وأن يستخلفهم في الاعتناء بهم في حال سفره.

ب. المُربّي:

- الطفل في نظر القابسي "لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً"، "ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها، وما يدفعه عنها" وتربيته أولاً ملقاة على عاتق كافله وراعيه والذي هو في الغالب والده، وتربية الطفل هي أصل نفعه واستقامته على القيم الإسلامية التي لا بد من معرفتها، وللآباء أجر عظيم إذا علموا أولادهم بأنفسهم كان أجرهم في ذلك "أعظم من الحج والرباط والجهاد" وللذين يعلمونهم من المعلمين الذين يعهد إليهم تربية الأبناء" (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٥).
- بالغ القابسي في تهجين صورة الولي المتهاون في تعليم أولاده وهو واجدٌ إليه سبيلاً، فهو مستخف بواجب السعي إلى أن يدرك أولاده النضج في الدين.
- دعا القابسي إلى تمكين الأطفال من فرص المعرفة والتحصيل ونبه إلى ضرورة التمييز بين سن الرشد والمسؤولية الدينية والاجتماعية، وبالتالي لا يجوز أن يحرم الأطفال من حق التعليم لأن ذلك يؤدي إلى تفشي الأمية والعجز عن الاستجابة لمتطلبات الدنيا والدين.
- يبرر القابسي حق الأنثى في الانتفاع بالخدمات التربوية التي تقدم للذكور، فهي في نظره لها منزلة الكائن الخليق بالرعاية والاعتبار اللذين يفرضهما دورها الهام في تحقيق ما يضمن توازن الكيان الاجتماعي (النعيمي، ١٩٨٠: ١٤١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- فصل القابسي الأحكام الخاصة بتعليم البنت دلالة على تعميق الوحدة الإسلامية الذي تستلزم نشر الوعي في الذكور والإناث معاً، مستشهداً بالقرآن والسنة، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها فله أجران).
- أكد القابسي على ضرورة الفصل بين المتعلمات والمتعلمين لأن ذلك فيه صلاحهم خشية إفسادهم، ولم يُفصل القابسي في هذا الموضوع بسبب شدة انشغاله بالدعوة إلى نشر التعليم وتزهده وتعففه ووقاره واكتفى بإشارة خفية للموضوع دون تفصيلات.
- كما أكد القابسي على رفق المعلم بتلاميذه والعدل بينهم، وتأكيداً لإشعاعه عليهم باعتباره القدوة والالتزام بالمثل العليا، ومنها المساواة في تحديد الأجر والتوجيه، وضبط العقاب الذي يستوجب الصبيان عند الخروج عن الحدود.
- ونصح القابسي المعلم بألا يكون دائم العبوس، فيصبح عديم التأثير فيهم، وأن لا يكثر من اللوم والضرب حتى لا يفقدهما أهميتهما التأديبية، وفي الحالات المستوجبة لا يضرب إلا من لا ينفع معه التوجيه والتوبيخ، إذ على المعلم أن يضع الأمور مواضعها، فالمعلم يسوس أطفاله بما ينفعهم، فيرفق بهم ويرحمهم بالنصح والإرشاد أي يحرص على ما يسمى (بالتكوين المستمر) أي التشكيل لسلوكهم.
- يجوز للمعلم الانشغال عن الأطفال فقط لأحيان قصيرة ليتثبت من حفظ القرآن ولا يتلعثم به أو ينسى بعضه إذ أن القرآن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم).
- وللقابسي تصوّر فريد لعلاقات المتعلمين فيما بينهم، فهو يرى في تخاير المتعلمين أي تنافسهم، وتقويم بعضهم لمستوى البعض الآخر ما "يصلحهم، ويخرجهم، ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً، وفي تكييف العريف (المتعلم الذي ختم القرآن وعرفه) بتعليم غيره من التلاميذ منفعة لهم (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٢٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويدعو القابسي إلى اعتبار الفروق الفردية في التعليم فيقول "ونحن نوجب للمعلم حذقة، ونرى أن يُحكم له بها في النظر والظاهر على قدر الغلام، وقدر درايته، وقدر حفظه في الظاهر، وقدر معرفته بالهجاء والخط في حذقة النظر" (الرسالة: ٢٢٧).

ويفضل القابسي أن يعرض كل واحد من الصبيان في حزبه، فيؤدبه على ما كان من تقصير.

واستحثاثاً على بذل الجهد الذاتي، الذي يعتبر أساس التعلم وتيسيراً لمعرفة نتائج حفظه، دعا القابسي إلى تقويم نشاط المتعلم باعتبار المدى الزمني الذي استغرقه هذا النشاط (الرسالة: ٢٩١).

أما عن البرنامج الدراسي، يدرس التلاميذ طوال ستة أيام ويفرغون للراحة يوم الجمعة "وذلك سنة المعلمين مذ كانوا" يعرضون على معلميهم (في عَشي يوم الأربعاء، وغدو يوم الخميس، إلى وقت الكتابة، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف النهار، ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب، والخيار إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت يبكرون فيه إلى معلميهم، وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين لا شطط فيه) (الرسالة: ٢٢٤).

وفي نهاية المرحلة التعليمية يكون هدف التقويم، معرفة من يستحق الختمة، والتمييز بين من زاد عن حفظ القرآن حذق قراءته في المصحف، وكتابته بخط حسن، والإلمام بقدر من الشعر أو النحو، إذ أن التعاقد بين المعلمين والأولياء يمكن أن يستظهر الصبي القرآن حفظاً من أوله إلى آخره، أو استكمل يضاف إلى ذلك ضبط الهجاء والشكل وحسن الخط، إلا أن المستظهر للقرآن حفظاً مع ما صاحبه من حسن خط، وضبط شكل، وهجاء وإعراب، وقراءة، يكون في الاجتهاد أفضل ممن لم يستظهر الحفظ (الرسالة: ٢٨٥).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ج- محتوى التعليم:

- يعتبر القابسي القرآن الكريم دستور المسلمين ومرجعهم في العبادات والمعاملات وهو جوهر وحدتهم وهاديهم إلى سُبل الفوز برضوان الله، وموقف القابسي من تعليم القرآن مستوحى من طبيعة اهتماماته كفقيه.
- صنف القابسي المواد الدراسية إلى مواد إجبارية وهي القرآن والفقه والأخلاق والخط والهجاء والقراءة ومبادئ العربية، ومواد أو علوم اختيارية كالحساب والشعر وأخبار العرب، وعلم النحو، وصناعة العربية.
- وبالفقه يتعلم المتعلم واجباته الدينية كالوضوء والصلاة وبالأخلاق ينشأ الصبي على السلوك المتجه إلى الالتزام الذاتي بما أمر الله.
- أما العلوم الاختيارية فهي علوم تبتعد عن الصفة الدينية وإنما هي ضرورية لفهم الدين. وإذا قمنا بالمقارنة بين هذه العلوم وعصرنا هذا نجد أن العلوم الإجبارية تمثل ما نسميه اليوم بالتعليم الأساسي، وبين مرحلة التعمق والتخصص التي تؤكد عليها مرحلة التعليم الثانوية.
- والقابسي ينظر إلى العلوم الاختيارية بقدر خدمتها للعلوم الإجبارية فمثلاً يفيد الحساب أو ما نسميه اليوم بالرياضيات في عملية ضبط المواريث وسائر الحقوق المادية، والشعر ما يوفره من أسباب إيقاظ الذوق وتهذيبه، والتاريخ وما يبرزه من أنواع العلاقة السببية بين الأحداث والظواهر لا تهم المربي إلا من وجهة روحية محض (الأهواني، ١٩٧٥: ١٤٩).
- والقابسي في رسالته يؤكد على مبدأ التدرج في المحتوى الإجباري الذي يتمثل في علوم الدين والمحتوى الاختياري التي تتمثل في العلوم التي تختلف عن سابقتها في بعدها عن الصفة الدينية، وإن كانت ضرورية لفهم الدين، ويؤكد على عملية الاستمرارية والتعمق في المحتوى الإجباري وهذا يعبر عنه بالتنظيم المنطقي والسيكولوجي للمحتوى والاستمرارية والتتابع والتكامل في تنظيم الخبرات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د. المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي:

- كانت أهم خصوصيات المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي إبان القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه أبو الحسن القابسي، امتداداً طبيعياً لتأثير العوامل الدينية والسياسية في توجيه الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية.
- اتسم عصر الأغالبة في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٩٦هـ، ٩٠٩م) بحضارة كبرى تأسست وشمخت بما وفروه من أسباب الأمن والقوة الاقتصادية والنهضة العلمية التي تجلت في كل من القيروان حيث أنشأ بيت الحكمة الشهير، بما ضمه من خزائن الكتب والآلات الفلكية لحساب سير الكواكب ورصدها كالاسطرلابات والمقنطرات، وما يشبهها من أدوات البحث وتحقيق الأوقات وضبط الأطوال والعروض مما يُستعمل في علمي الفلك والتنجيم.
- كان القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه القابسي قرن عزارة علمية كبيرة أدى إلى ظهور عدد غير قليل من العلماء والمهتمين باستنساخ الكتب وجمعها في مكتباتهم، حيث روي عن المؤرخ "محمد بن أحمد التميمي" المتوفى سنة (٣٣٣هـ) الذي اشتهر أنه كتب بيده أربعة آلاف كتاب، وعبد الله بن هاشم بن مسرور المتوفى سنة (٣٤٦هـ)، كان يضع له مكيال للسوائل يسع أربعين لتراً تقريباً من الحبر كل سنة لكثرة ما يستنسخه، وكان وزن كتبه سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابين، وكانت أحمال الكتب المتنوعة الوافدة على القيروان بوساطة قوافل الباعة المتنقلين بين المشرق وإفريقية والأندلس تغذي هذا الفيض العظيم الذي جعل من القيروان كعبة القصاد من طلبة المعرفة. ومن الطبيعي أن تكون أهم الظواهر التي أفرزتها هذه الحركة التعليمية الواسعة المتمثلة في الحاجة إلى وضع سنن التربية والتأديب، وضبط كل مقوماته ومحتواه وطرائقه وأهدافه، والتي مكنت للقابسي القيام بهذه المأثرة العلمية، والتي لم تكن منحصرة فيما ألف من كتب الفقه، بل برسالته الشهيرة في انكبابه على تفصيل أحكام المعلمين والمتعلمين وتدوينها في رسالته، التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د. المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي:

- كانت أهم خصوصيات المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي، أثناء القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه أبو الحسن القابسي، امتداداً طبيعياً لتأثير العوامل الدينية والسياسية في توجيه الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية.
- اتسم عصر الأغالبة في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٩٦هـ، ٩٠٩م) بحضارة كبرى تأسست وشمخت بما وفّره من أسباب الأمن والقوة الاقتصادية والنهضة العلمية التي تجلت في كل من القيروان حيث أنشأ بيت الحكمة الشهير، بما ضمه من خزائن الكتب والآلات الفلكية لحساب سير الكواكب ورصدها كالاسطرلابات والمقنطرات، وما يشبهها من أدوات البحث وتحقيق الأوقات وضبط الأطوال والعروض مما يُستعمل في علمي الفلك والتنجيم.
- كان القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه القابسي قرن عزارة علمية كبيرة أدى إلى ظهور عدد غير قليل من العلماء والمهتمين باستنساخ الكتب وجمعها في مكتباتهم، حيث روي عن المؤرخ "محمد بن أحمد التميمي" المتوفى سنة (٣٣٣هـ) الذي اشتهر أنه كتب بيده أربعة آلاف كتاب، وعبد الله بن هاشم بن مسرور المتوفى سنة (٣٤٦هـ)، كان يضع له مكيال للسوائل يسع أربعين لتراً تقريباً من الحبر كل سنة لكثرة ما يستنسخه، وكان وزن كتبه سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابين، وكانت أحمال الكتب المتنوعة الوافدة على القيروان بوساطة قوافل الباعة المتنقلين بين المشرق وإفريقية والأندلس تغذي هذا الفيض العظيم الذي جعل من القيروان كعبة القصاد من طلبة المعرفة.

ومن الطبيعي أن تكون أهم الظواهر التي أفرزتها هذه الحركة التعليمية الواسعة المتمثلة في الحاجة إلى وضع سنن التربية والتأديب، وضبط كل مقوماته ومحتواه وطرائقه وأهدافه، والتي مكنت للقابسي القيام بهذه المأثرة العلمية، والتي لم تكن منحصرة فيما ألف من كتب الفقه، بل برسالته الشهيرة في انكبابه على تفصيل أحكام المعلمين والمتعلمين وتدوينها في رسالته، التي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحق اعتبارها من أمهات المراجع في التربية المالكية خاصة والتربية الإسلامية عامة (حسني [illegible]).

السؤال الثاني:

- ما مدى التوافق بين آراء القابسي في جوانب العملية البيداغوجية (المربي، المربَّى، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي) وتقريبات التعلم والتعليم الحديثة؟

أ. المربي:

- يحث القابسي على إجبارية التعليم ويستعمل في الإقناع بشرعية ذلك والاستحثاث عليه أسلوب الترغيب تارة وأسلوب الترهيب، ويعتبر رأيه هذا جديداً في ذلك العصر، إذ لم يسبق لغيره الإصداع به بمثل هذا الوضوح، ويعتبر من أوائل المنادين بتعميم التعليم، وتحقيق ديمقراطيته، لأن موقفه يجسم رد فعل جريء، رشيد إزاء جملة من العادات كانت موجودة في ذلك الوقت واستمرت أحقاباً طويلة، بقيت رواسبها ماثلة في واقع البشرية حتى الآن، ومن هذه العادات تشغيل الأطفال في سن مبكرة وحرمانهم من حقهم في التعليم (الأهواني، ١٩٧٥: ٢١٧).
- لم يشجع القابسي الفصل في التعليم بين طبقات المجتمع، بل حرص على أن يكون التعليم للجميع في مكان واحد ويتلقوا المعرفة عن معلم واحد، فلا تتسع الهوة بين الطبقات، وتسود بينهم النزعة الإسلامية الصحيحة. وأن تشمل عملية تعميم أو ما يسمى الآن بإلزامية التعليم جميع أفراد المجتمع حتى الأيتام والفقراء منهم وتكون هذه مسؤولية الدولة.
- والفرق الوحيد بين إلزامية التعليم من وجهة نظر القابسي وعصرنا هذا أن البلاد المتقدمة حددت عقاباً لمن لا يعلم ابنه بينما اكتفى القابسي بتهجين صورته بين الناس وعند الله، في ذلك بلاغ (القابسي، الرسالة: ٢٥٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ولو أردنا المقارنة بين واجبات المعلم وأهداف رسالته الروحية والأخلاقية والاجتماعية، لتسنى القول بأن الصورة التي يقدمها هي صورة نادرة جدا من الواقع، فهو لم يتوسع في سجايا المعلم بقدر ما يفرضه دوره في حياة المتعلم من حرص على الحوار مع أولياء أمور المتعلمين، بغية تعديل أبنائهم وبنائهم في البيئة الدينية صونا لهم من الجهل والتأثر بالتيارات الخارجية، وهذا ما تنادي به كثير من التوجهات التربوية الحديثة بالمحافظة على الأصالة والحذر من المؤثرات الخارجية.
- فالمعلم له مكانة كبيرة في النظام التعليمي، فهو يحدد نوعية التعليم واتجاهه وبالتالي نوعية مستقبل الأجيال وحياد الأمة (عفيفي، ١٩٨٢:١).
- وللمعلم دور ريادي يلعبه، فهو رائد اجتماعي لهم في تطوير مجتمعه وتقدمه وتربية النشئ تربية صحيحة تتسم بحب الوطن والدفاع عنه والمحافظة على الذات الوطني الإنساني، وتسليح تلاميذه بطرق العمل الذاتي التي تمكنهم من متابعة اكتساب المعارف والقدرات والمهارات، وباختصار يؤدي دوره دور القدوة والمثال النموذجي لتلاميذ، إنهم يحاكونه ويحاولون الانطباع به، وبالتالي فهو بدون شك من العوامل المؤثرة في تشكيل فهمهم ومثلهم المستقبلية (دسوقي، ١٩٧٩: ٢٧٤).

ب. المُربّي:

- يشير القابسي إلى أن حرمان الطفل من التعلم يؤدي إلى الأمية والعجز عن الاستجابة لمتطلبات الدين والدنيا (الرسالة: ٢٥٢). كما يبرر القابسي حق الأنثى في الانتفاع بالخدمات التربوية والحرص على مصالحها وسلامتها، وللمرأة منزلة الكائن الخليق بالرعاية والاعتبار لما لها من دور في تحقيق التوازن الاجتماعي.
- وللقابسي رأي في الفصل بين المتعلمين والمتعلمات لأن ذلك من صلاحهم، ومن حسن النظر لهم. ووجهة نظر القابسي هذه لا تزال محل جدل في الأبحاث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السيكولوجية المتعلقة بسلوك المراهقين، فهناك من يقول بأن الاختلاط ميسّر لنشوء صلات التفاهم بين الجنسين، ومنهم من القائلين بأن الاختلاط من أسباب الاستثارة أو التهيج للغريزة الجنسية مما يؤدي إلى الانحرافات والميولات العدوانية التي تهدد معايير التعامل الأخلاقي والاجتماعي (الجبالي، ١٩٧٧: ٥١٤). علماً بأن القابسي لا يعارض الاختلاط في السن السابقة لظاهرة الاحتلام، فهو لا يرى ضرراً في جمع الأطفال ذكوراً وإناثاً قبل يقظة القوة الجنسية، واكتمال الأسباب البيولوجية التي بها يمارسون (الجبالي، ١٩٧٧: ٥١٥). والقابسي حينما ركز على مفهوم الاحتلام، فقد سبق الجنسين في علم نفس المراهق والتحليل النفسي القائم على نظرية فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) في التنبيه إلى أهمية هذه الفترة الحاسمة التي تنشأ فيها ضروب عديدة من الصراعات واضطرابات السلوك المستوجبة لتكثيف الجهود من أجل تعميق الوعي الثقافي الذي لا بد منه لتكثيف الجهود من أجل تعميق الوعي الثقافي الذي لا بد منه لاتساق مكونات الشخصية. وهذا الحدس السيكولوجي عند القابسي ساعد على ارتفاع رأي القابسي في الاختلاط إلى مستوى العلاقة الجدلية المستمرة وأنضج أحكامه البيداغوجية المتعلقة بالصلات الرابطة بين المعلمين والمتعلمين أنفسهم من ناحية أخرى.

- دعا القابسي إلى أن يحرص المعلم على الرفق بين التلاميذ والعدل باعتباره القدوة والمثل الأعلى، وضبط العقاب الذي يستوجبه خروج الصبيان عند الحدود المشروعة ونصحه بعدم العبوس كيما لا يأنس الصبيان منه، فيصبح عديم التأثير فيهم، وبألا يكثر اللوم والضرب، حتى لا يفقدهما أهميتهما التأديبية، بحيث لا يضرب إلا من ينفع معه التوجيه أو التوبيخ.
- والعقاب بالضرب يقر به القابسي، كغيره من علماء المسلمين ولكنه يضع لها أحكاماً وحدوداً منها عدم القسوة، والعدول عن أساليب الإذلال والأضرار، والملاحظ هو أن هذه العقوبة لم تزل ضمن الإجراءات البيداغوجية التي تحافظ عليها بعض المجتمعات المعاصرة المتقدمة، وفي طليعتها المجتمع الإنجليزي،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهي محرمة في القوانين المطبقة في كل البلاد النامية (جلال، [illegible]) ونظراً للاستخدام الشائع للعقاب في المؤسسات المجتمعية والتربوية المختلفة والهادف إلى حذف السلوك غير المرغوب فيه، وتعزيز السلوك المرغوب، لذا بد من التعرف إلى الظروف التي يكون فيه العقاب فعالاً ومناسباً (النشواتي، ١٩٨٤: ٢٩٣).

لقد بين ثورنديك (Thorndike, ١٩١٣) وسكنر (Skinner, ١٩٣٨) وايتس (Estes, ١٩٤٤) أن العقاب ليس فعالاً بالضرورة، أي لا يؤدي إلى حذف أو كف السلوك، بالطريقة التي يؤدي بها التعزيز إلى تقويته، فالتعزيز أكثر فعالية من العقاب في مجال تغيير السلوك أو تعديله، ويرى سكنر أن آثار العقاب في السلوك مؤقتة، لأن الاستجابات المكفوفة بالعقاب، قد تعود إلى طبيعتها ووضعها الأصلي إذا قيست بمعدل تكرارها، ويرى باحثون آخرون إلى أن نتائج دراسات سكنر ليست مطلقة، ويمكن كف بعض الاستجابات على نحو نهائي أو مطلق ضمن شروط عقابية معينة يجب توافرها ليغدو العقاب فعالاً (Ellis, et. al., ١٩٧٧). وهكذا نلاحظ أن هناك وجهات نظر مختلفة تؤيد وجهة نظر القابسي في موضوع العقاب وبخاصة النظريات السيكولوجية الحديثة.

أما بخصوص العلاقات الأفقية بين المتعلمين أنفسهم التي تشجعها الطرائق البيداغوجية الحديثة والتي يؤكد عليها علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الطفل، فهو أي القابسي، يشجع التنافس بين المتعلمين وتقويم التلاميذ لبعضهم البعض الآخر، دور العريف بتعليم غيره من التلاميذ، وبالتالي يؤكد القابسي على الأهمية الراجعة للجهد الشخصي في عملية التعلم أو ما يسمى حالياً بالتعلم الذاتي حيث يقوم الكائن بنفسه بنوع من النشاط الذي لا يتم إلا إذا استثيرت حاجات الفرد وحاول إيقاع هذه الحاجات إضافة إلى مفهوم التواصل بين المجموعات أو ما يسمى بدينامية المجموعات المستمدة من أبحاث كورت لوين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(K. Lewin) وهمان ميرونلف (Maisonneure) حسلان ١٩٧١ ،
Jone

- أما بالنسبة لمصطلح الفروق الفردية في التعلم والذي يرد عليه النظريات السيكولوجية الحديثة فقد أشار إليها القابسي بقوله "ومن الواجب للتعلم الجدة، ونعني أن يشكم له بها في النظر والظاهر على قدر مرتبته وقدر محفظه فيمن للظاهر".
- كما أكد القابسي على التعلم الذاتي الذي يعتبر أساس التعلم وليس "مسرعة نتائجه في الحفظ والتحصيل، كما دعا القابسي إلى تقويم نشاط المتعلم باعتبار المدى الزمني الذي يستغرقه المتعلم في النشاط، وهذا ما أكدت عليه الأبحاث السيكولوجية الحديثة، وهو ما يعرف بالتعزيز أو التغذية الراجعة في العصر الحديث. فالتعزيز كما يعرفه سكنر هو الحادث المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة موضوع التعزيز (النشواتي، ١٩٨٤: ٢٨١).

ج. **محتوى التعليم:**

- ركز القابسي على أهمية البعد الديني في العمل التربوي، وكان ينشد المسلم الواعي القادر على خدمة المجموعة والتحكم الذاتي في أهوائه التي قد تقصيه عن سبيل الله.
- يركز القابسي في تعليم الناشئة من خلال المسؤوليات الدينية والدنيوية التي تنتظرها في طور التكليف، وينصح بالطرائق البيداغوجية التي تستعيض عن الوعظ والتلقين والتركيز على الفهم، كما أكد على فائدة المثل الحي والمران والقدوة الحسنة في إجراء الفرق بين الحسن من الأفعال وضده. وهذا ما أكدت عليه النظريات السيكولوجية الحديثة وبخاصة التعلم بالملاحظة (Observational Learning)، ولعل باندورا (Bandura, ١٩٧٧) من أكثر علماء النفس مساهمة في دراسة هذا التعلم وبيان شروطه وآثاره المختلفة، وهذا النوع من التعلم يقوم على افتراض مفاده أن الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وينطوي هذا التعريف على أهمية تربوية بالغة، إذا اعتبرنا أن التعليم بمفهومه الأساسي عملية اجتماعية (النشواتي، ١٩٨٤: ٣٥٤).

ويؤكد محتوى التعليم عند القابسي على غايات التعليم والتنشئة، وإلى النظر إلى صميم العلاقة الجدلية بين محتوى التعليم وحاجات المجتمع، وهذا ما أكدت عليه البرامج التربوية في القرن العشرين وبخاصة في البلدان النامية في مراجعة نظمها التربوية في اتجاه السعي إلى تعميق العلاقة بين التربية والمجتمع بتنويع الاختصاصات ورد الاعتبار إلى العمل اليدوي الذي أنزلته الحضارة اليونانية منزلة الاحتقار والاستهجان (عبد الوهاب، ١٩٧٢: ١٩٧).

وقد أكدت التربية الحديثة على ربط التعليم بالتشغيل باعتبارهما قطبين متكاملين، وهذا ما دعا التربويين إلى الحض على ضبط البرامج التعليمية ضبطاً يراعي خصوصيات كل مجتمع، وبشكل ييسر التعاون بين المؤسسات التعليمية والمؤسسات الصناعية والاقتصادية وهذا ما أشار إليه القابسي قبل ألف عام إلى أهمية تحديد الهدف من التعليم والمدى اللازم لتحقيقه (عبيد، ١٩٧١: ٨).

أشار القابسي إلى مفهوم التكامل في تنظيم المحتوى الإجباري والاختياري بحيث يؤكد المحتوى الإجباري على العلوم الدينية والمحتوى الاختياري على علوم دينية ضرورية لفهم الدين، وهذا ما أكدت عليه الدراسات الحديثة بضرورة التكامل بين المباحث حيث يعرف التكامل بأنه التوسع الأفقي بين عدة موضوعات دراسية تدور حول محور واحد أو فكرة رئيسة (الطيطي، ٧ ٢٠).

وأكد القابسي على عملية التدرج في إعطاء المحتوى سواءً أكان علوماً إجبارية أو اختيارية ويشير هذا التتابع والاستمرارية والتنظيم المنطقي والسيكولوجي للمحتوى وهي من المفاهيم الحديثة التي تؤكد عليها المناهج في عصرنا هذا، حيث يساعد التعلم السابق على فهم التعلم اللاحق، إذا كان مرتبطاً به، وحين يدرك المتعلم أن في تعلمه تتابعاً واستمرار، ويدرك عناصر هذا التتابع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستمرارية فيما يتعلمه، فإن تعلمه يصبح أكثر سهولة وقوة، ويرتبط مفهوم التدرج بالتنظيم المنطقي للمحتوى الذي يرتبط بطبيعة المادة العلمية التي يتضمنها المحتوى، أما التنظيم السيكولوجي فيرتبط بطبيعة المتعلم وخصائصه مما يجعل التعلم أكثر سهولة ويسراً، إضافة إلى أن الاستمرارية تعني التكرار العمودي لعناصر المحتوى أما التتابع فيعني اختيار المحتوى وترتيبه ترتيباً تتابعياً وبطريقة منطقية ملائمة تأخذ بالحسبان اعتماد المعرفة اللاحقة على المعرفة السابقة. وهكذا نلحظ أن القابسي طرق مفاهيم في عصره، تعتمد عليها النظريات السيكولوجية الحديثة في تنظيم المحتوى والخبرات التعليمية في عصرنا هذا (أبو حلو، مرعي، ١٩٩٥: ٦٣-٦٤).

د. **المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي:**

- إن المحيط الذي مارس خلاله القابسي عمله التربوي كان محيطاً ثرياً غنياً بالعلم والمعرفة في الجوانب التربوية والعلمية والفلكية وغيرهما، ورسالته المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، كتبت على أرجح الاحتمالات، إبان العقود الأخيرة من حياته، أي أوائل العهد الصنهاجي الذي انفرج فيه المجتمع القيرواني، وكان الهدف من هذه الرسالة هو الذب عن المذهب المالكي بجميع مصادره، وشرح أحكامه على النحو الذي ييسر تطبيقه ويضمن انتشاره، ويوطد أركانه.
- لم يهمل القابسي المحيط الذي يمارس في داخله العمل التربوي، حيث أشار إلى ضرورة توافر الألعاب في هذا المحيط، وهذا ما تؤكد عليه الأبحاث والنظريات السيكولوجية الحديثة، إلا أنه أشار إلى أن ألعاب الأطفال يجب أن تكون خالية مما يمكن أن يرسخ فيهم عادات مخالفة للدين مثل الربا وغيره. وإن وضعه لأحكام العطل الأسبوعية والدينية، يتمثل في زيادة تسهيل تكيف الصبيان في الوسط الديني والاجتماعي، وتمكين المعلمين من نيل نصيب من الراحة، والمتعلمين من التحرر أحياناً من قيود الدراسة إلى ممارسة النشاط التلقائي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المستجيب لطبيعة ميولهم واهتماماتهم المتجهة، بحكم أعمارهم إلى اللعب الفردي والجماعي الذي يساعد على اطراد نموهم الحسي الحركي والعاطفي والأخلاقي والذهني (ابن عاشور، ١٩٦٥: ٤٠).

وتعد الألعاب التعليمية أحد أنماط التمديد التربوي في عدد من الدول في عصرنا هذا، حيث أخذت بهذا الأسلوب، في التطبيقات التربوية بمدارسها في مراحل التعليم العام، وتنطلق فكرة الألعاب من الاتجاهات الحديثة في جعل التعليم أكثر فاعلية ونشاطاً من خلال تحفيزه على طرح الأسئلة، والمشاركة في المناقشات والفعاليات المتنوعة (الزعبي والألوسي، ٢٠٠٢).

والألعاب التربوية سواءً داخل المدرسة أو خارجها، أي في المحيط الذي يمارس خلال العمل التربوي نشاط هادف يقوم به المعلم أو مجموعة الطلاب لتحقيق الأهداف التربوية المرغوبة المعرفية والنفسحركية والوجدانية (الهويدي، ٢٠٠٤) (Oldifild, ١٩٩١).

واللعب في الطفولة وسيط تربوي هام يعمل على تكوين الطفل، وترجع أهميته إلى الفترة الطويلة التي يقضيها الطفل في اللعب داخل المحيط المدرسي أو في أيام العطل مما يسهم في التكوين النفسي للطفل، حيث يكشف عن دوافعه، وتتكون لدى الطفل ميول وقدرات وخصال تعزز وتدعم معارفه وخبراته السابقة ويشكل اللعب نشاطاً أساسياً لمراحل نماء الطفل (عبد الهادي، ٢٠٠٤).

وهكذا يلاحظ تدعيم النظريات السيكولوجية والأبحاث التربوية صحة آراء القابسي في توفير الألعاب والطفل في المحيط التربوي.

- جاءت هذه الأفكار التربوية الجليلة والمنسجمة مع النظريات السيكولوجية الحديثة في عصر عاش فيه القابسي يؤكد على ترغيب الجيل بتلاوة القرآن وتفسيره

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقراءة الحديث ومعانيه والذود عن العقيدة والتبحر في علوم الفقه والشريعة، وهذا يظهر أن القابسي لم يذهب في تعليمه مذهب المتزمت المبالغ وكما يقول أطلس أن النظر لأوضاع التعليم بدار الاسلام منذ بداية القرن الخامس للهجرة إلى اليوم، لاحظنا أن الزهد في العناية بالعلوم الرياضية التي نبه ابن خلدون (٧٣٢هـ، ٨٠٨هـ) إلى أهميتها لم يزل إلا بتأكد الحاجة إليها في عهد الثورة العلمية والتقنية، وأن نشاط الكتاتيب لم يكن في أغلب الأحوال، وفي عامة بلاد المغرب العربي بعد استقلالها، أثرى مما ضبطه القابسي في القرن الرابع للهجرة، لجاز لنا اعتبار هذا الفقيه المربي بما دعا إليه من تنويع في مواد الدراسة ومنها الحساب، من أوائل وأبرز الذين نادوا بتربية متكاملة للمقومات والأبعاد تجذّر الأجيال الناشئة في واقعها، وتشحذ عزمها على تطويره في الاتجاه الأفضل والأبقى (أطلس، ١٩٥٧: ١٤٤).

وفي ضوء ذلك يعد القابسي بحق أنموذجاً تربوياً نهضوياً في عصره القرن الرابع الهجري.

التوصيات:

بناءً على ما تقدم توصي الدراسة بما يلي:

١. تنشئة الأطفال منذ الصغر على حب الدين والتعامل معه، وأن يسلكوا سلوكاً دينياً في كل شؤون حياتهم داخل المدرسة وخارجها، مقتدين بمعلميهم، لما للقدوة من أثر كبير على سلوك الأطفال، على أن يكون المربين منشئين تنشئة إسلامية صالحة، كما كان الحال سابقاً لدى أسلافهم المسلمين.

٢. أن تنبثق سياسات تكوين وإعداد المعلمين وأساتذة التعليم العالي في إطار أركان فلسفة دينية اجتماعية تحكم مسار التعليم وتضبط مخططاته، وعدم الاقتصار على المقررات الدينية وحدها أو العملية وحدها، إذ أن المقررات العلمية تدعم الاتجاه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدينية في النفوس، وتعمق الشعور الديني والإيمان بعظمة الكون والتناسق ليس الكون.

٣. أن يربى التلاميذ تربية متكاملة تتناول جوانب شخصية المتعلم الجسمية والروحية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والوجدانية والروحية.

٤. تشجيع الطرق الإسلامية القديمة في التعليم من مناظرة، ومحاورة وتعليم ذاتي ومراعاة للفروق الفردية، والابتعاد عن التلقين والمحاضرة ما أمكن.

٥. الاهتمام بطبيعة العلاقة الأبوية التي أشار إليها القابسي في رسالته بين المربي والمُربى وتقويتها بحيث تكون علاقة أبوة روحانية وأخوة إيمانية، فكما أن الأب سبباً في وجود الطفل فإن المعلم يغذي النفس بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق التعليم واللذة والسرور.

٦. استفادة النظم التربوية الحالية في البلدان العربية والإسلامية من الآراء التربوية للقابسي في جوانب العملية البيداغوجية (المُربي والمُربى، والمحتوى والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)، والتي تمخضت عن نماذج تربوية إسلامية نهضوية كما كان الحال في عصور الازدهار الإسلامي، أي نظام إسلامي تربوي كلي، يحيط بكل ما يقتضيه نمو الإنسان المتكامل عقلياً ووجدانياً وخلقياً، ويشكل اتجاهاته الأساسية نحو الإنسان ونحو العالم وما فيه من أشياء ومؤسسات وتنميتها.

٧. أن يتضمن برامج إعداد المعلمين إضافة إلى ما سلف متطلبات التطور العلمي والتكنولوجي الذي يمكن المعلم من القيام بأدواره الوظيفية كموجه إلى مصادر المعرفة، ومنسق لمواد التعليم ومنظم لأساليبه، ومهندس لتكنولوجيا تعليمية، ومقوم لاكتسابات المتعلمين ومثير للدافعية الذاتية والقابلية التربوية، ومكيف لجو غني بالخبرة الإنسانية والتفاعل الاجتماعي ومستخدم للنماذج والنظم والتعليم المصغر والمبرمج وأساليب التعلم الذاتي والتربية المستمرة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المراجع والمصادر

أ) المراجع العربية:

- أبو حلو، يعقوب، مرعي، توفيق (١٩٩٥) العلوم الاجتماعية وطرائق تدريسها، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٦٥) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ العلوم، تعريب، مطبعة النجاح، تونس.
- أطلس، محمد أسعد (١٩٥٧) التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الأهواني (١٩٧٥) **التربية في الإسلام**، القاهرة.
- بشارة، جبرائيل (١٩٨٦) **تكوين المعلم العربي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الجبالي، محمد عزيز (١٩٧٧) **المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية**، الدار البيضاء، ليبيا.
- جلال، سعد (١٩٧٧) **المرجع في علم النفس**، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- دسوقي، كمال (١٩٧٩) **النمو التربوي للطفل المراهق، دروس في علم النفس الارتقائي**، دار النهضة، بيروت.
- الرشدان، عبد الله (١٩٩٤) تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين وأثره في التعليم المعاصر، **مؤتة للبحوث والدراسات**، التربية، جامعة مؤتة، الأردن.
- الزعبي، طلال، والألوسي، صائب (٢٠٠٢) **التدريس الإبداعي**، دار المنهل، عمان، الأردن.
- الطيطي، محمد عيسى (٢٠٠٧) **التربية الاجتماعية وأساليب تدريسها**، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- عبد الدائم، عبد الله (١٩٧٣) **التربية عبر التاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- عبد الهادي، نبيل (٢٠٠٤) **سيكولوجية اللعب وأثرها في تعليم الأطفال**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عبد الوهاب، حسن حسني (١٩٧٢) **كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون**، ط٢، تونس.
- عبد الوهاب، حسن، حسني (١٩٦٥) **ورقات**. ج١، مكتبة المنار، تونس.
- عبيد، أحمد حسين (١٩٧١) في فلسفة إعداد المعلم وتنظيمه، **مجلة الجامعة المستنصرية**، بغداد، العدد ٢.
- عفيفي، محمد الهادي (١٩٨٢) **فلسفة إعداد المعلم في مجتمع عربي جديد**، بحث مقدم لمؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربي، القاهرة.
- العلوي، أبو القاسم (١٩٨٠) **القابسي ومواقفه التربوية**، تونس.
- النشواتي، عبد المجيد (١٩٨٤) **علم النفس التربوي**، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، الأردن.
- النعيمي، عبد الله الأمين (١٩٨٠) **المناهج وطرق التدريس عند القابسي وابن خلدون**، طرابلس، ليبيا.
- الهويدي، زيد (٢٠٠٤) **الإبداع، ماهيته اكتشافه**، دار الطالب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤، **التربية في الإسلام والتعلم في رأي القابسي**.

ب) المراجع الأجنبية:

- Bowen, J., A., (١٩٧٢) ***History of Western Education***, VI. Methuen an co. Ltd., London: pp. ٣٢-٣٣.
- Ellis, H. C. (١٩٧٨) ***Fundamentals of Human Learning***, Memory and Cognition, Dubuque, Lowa, Wm. C. Brown Company Publishers.

Oldfield, Bernarol (١٩٩١) Game In The Learning of Mathematics, ***Mathematics In School***, ٢٠ (٣) ١٨-٦١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com